بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الانحرافات التّفسيريّة عند محمد أركون

إعداد
أ . د . عقيد خالد العزاوي

قسم علوم القرآن الكريم
بحث مقدم الى المؤتمر العلمي في جامعة ملايا في ماليزيا
المؤتمر القرآني الدولي السنوي (مقدس 4)

1435 هـ **2013م**

ملخص البحث

الحَمدُ لله الذي أنزل القرآن العظيم عِبرة لمن تَدَبّر، وأصلي وأسلم على من أَنذَرَ وبَشّرَ سَيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغُر الميامين ، أما بعد :

أهمية الموضوع :

تعد كتابات أركون من أوسع الكتابات أنشارا وقبولاً في الأوساط الغربية والشرقية المعادية للإسلام ، وقد ترجمة كتابات أركون إلى العربية ، فكان لزاماً على الباحثين من علماء المسلمين تناول تلك الكتابات بالنقد والتمحيص ، وبيان حالها في ميزان الشريعة الإسلامية ، ومما يرفع من قيمة تلك الكتابات أن أركون يعد من أبرز تلامذة المُستشرقين ، وَمَا تَزالُ أفكارهُ وَأطروحاتهُ مُتبناة من معاصريه ، و ممن جَاء بَعدهُ من الغربيين المُشتغلين بالدراساتِ الإسلامية ومن التيار الحداثي في العالم الإسلامي ، وفي كتاباته سعى أركون على تشكيلِ الرؤية الاستشراقية حول القرآن الكريم والنبي محمد (ρ) بأسلوب ماكرٍ ، حاشداً لذلك الغث والسمين . وَمن هذه الرؤية يَنطلق أركون لسلبِ الوحي الإلهي عن القرآن الكريم ، مُستعملاً بذلك مَناهج المُستشرقين ، وبخاصة مَنهج النقد التاريخي ، وَالذي يرى من خلالهِ إنَّ القرآن وَثيقة تاريخية تُوضح الرؤية حول حياة النبي محمد (ρ) وَحقبتهِ ولا تتعداها ، ويدعي إنَّ انتقال تلك الحقبة المحمدية وما نزل فيها من نصوص دينية إلى عصرنا هذا يتطلب بحسب رؤية أركون الحداثية إعادة قراءة النص القرآني ، والذي يعني فيه تفريغ النص القرآني من محتواه ومعانيه المنزلة من الله تعالى وإعطائه معاني تتوافق مع رؤية أركون المعاصرة .

سبب اختيار الموضوع :

اخترتُ الكتابة في هذا الموضوع لِما رأيتُ من كثرة الأخطاء التاريخية و المنهجية في مصنفات أركون ، في مقابل الرواج الواسع التي لاقتها كتابات أركون وما فيها من أثر سيء ومغالطات عليمة ، هذا فضلاً أنَّ أركون نقل فكرا خطيرا في جلِّ جوانبه ألا وهو الفكر

الاستشراقي . فرأيت من الواجب عليّ أن أقوم بذلك العمل لكشف تلك الأخطاء والانحرافات التي تضمنتها كتابات أركون .

فالقرآن الكريم يواجه حالياً مجموعة من التحديات على المستوى الداخلي والخارجي، تعرض فيها للهجمات من أعداء الإسلام من المستشرقين ومن سار على نهجهم باعتباره أساس الدين ، وكان من أشد تلك الهجمات ما طرحه أركون في كتاباته ، وعليه انتدب الباحث نفسهُ للدفاع عن القرآن الكريم والذود عن سيرة سيد المرسلين محمد (ρ) ، ذلك لأنَّ آراء أركون في القرآن الكريم تستهدف العقيدة الإسلامية والتشكيك فيها . فضلاً عن ذلك أن الباحث يرى : إنَّ الدراسات التي تناولت أركون قد لا تحظى في اغلبها بالشمولية والدقة والمنهج السليم الذي يعول عليه في ردَّ الشُبه الخطيرة التي يطرحا أركون ويؤسس لها في كتاباته ، ولذلك كان هذا البحث المتواضع بمثابة مساهمة بسيطة تصب في الاتجاه العلمي للجهود السابقة في الكشف عن منهج أركون ومغالطاته الفكرية والتاريخية .

مشكلة البحث :

تُعدُ خطوة الإحساس بمشكلة البحث أولى الخطوات في أي بحث علمي، إذ يتوقف على تلك الخطوة الخطوات اللاحقة لإنجاز البحث، مثل نوع المنهج العلمي الذي سيتبع في انجاز هذا البحث والأدوات البحثية المطلوبة، وطبيعة المعلومات المراد جمعها، ومشكلة البحث هي قضية أو موقف أو فكرة تحتاج إلى البحث، وتنبثق مشكلة البحث من إدراك الباحث أن هناك شيئاً معيناً يحتاج إلى التوضيح والتحليل والشرح والتفسير.

ومن خلال متابعة الباحث لكتابات أركون حول القرآن الكريم ، وبناءً عليه فإنّ مشكلة البحث الأساسية تحددت بالسؤال الآتي : كيف تعامل أركون مع القرآن الكريم ؟ ومن أجل الوصول إلى إجابات محددة إزاء مشكلة البحث الأساسية فإنّ الباحث صاغ عدداً من الأسئلة الفرعية وعلى النحو الآتي:

1 . ما المنطلقات التي انطلق منها أركون في تعامله مع النصوص القرآنية .

2 . ما المصادر التي اعتمد عليها أركون في كتاباته .

3 . ما المناهج التي استعملها أركون في تناول النص القرآني .

4 . ما هي الأنماط الأسلوبية التي اعتمد عليها أركون في تقريره للنتائج والأطروحات التي تبناها في كتاباته .

5 . ما النتائج التي توصل لها أركون في كتاباته ، وما أبعاد تلك النتائج وخطورتها على العقيدة الإسلامية .

منهجية الباحث في بحثه :

تَرَكزَت الدراسة على توضيح منهجية أركون حول القرآن الكريم ، وذلك من خلال التفكيك لآرائه ، وَعرضِ الموضوع على شكلِ مَباحثٍ قرآنية ، اتبع فيها الباحث المنهج التحليلي ، وذلك بانتقاء نماذج مُتنوعة من مقولات أركون وأطروحاته حول القرآن الكريم ، ثمَّ الرد عليها رَداً علمياً موضوعياً ـ من ناحية المصادر التي اعتمد عليها أركون والنتائج التي توصل إليها ـ مُستنداً إلى شواهدٍ من الأدلة العقليةِ و النَّقلية عبر منهجٍ علمي وموضوعي على وفق مناهج البحث المتداولة . و عملي هذا ليس اصطيادا للأخطاء ، و إنما هو عمل علمي نقدي هادف ، ركّز على نقد مشرع أركون الفكري وذلك من جانبيّن ، هما : الأخطاء التاريخية و الأخطاء المنهجية المتعلقة بطريقة الفهم و الكتابة العلمية ، و هما جانبان من الأهمية بمكان ، قام عليها قسم كبير من المشروع الاركوني المنحرف.

هيكلية البحث :

اقتضت مَنهجية الدراسة أن يكون الإطار العام للبحث ، بَعد هذه المقدمة التي بَين يَدي القارئ الكريم أن جَعلتُ بحثي في ثلاث فصول . يَسبقها تمهيد :

فَفي التمهيد : مَهدتُ للبحث (في التعريف بحياة الكاتب محمد أركون) .

أمّا الفصل الأول : فقد عنونته : (المنهج الأركوني في كتاباته) وَيضمُ ثلاثة مباحث :

فَأمّا المبحث الأول : فَقد تناولت فيه : (أركون ومشروع الحداثة) .

وَأمّا المبحث الثاني : فقد تناولت فيه : (علاقة أركون بالاستشراق) .

وَكان المبحث الثالث : (بيان علاقة أركون بأهل البدع والضلال) .

وَجاء الفصل الثاني : تحت عنوان :(أركون ومنهجيته في القرآن الكريم) وقد قسمته على ثلاثة مباحث :

جاء المبحث الأول عن : (أركون وتاريخ القرآن الكريم وتدوينه وجمعه) .

أمّا المبحث الثاني فجاء عن : (أركون والوحي القرآني الأول) .

وأما المبحث الثالث : (فتناول نظرة أركون حول لغة القرآن الكريم).

وجاء المبحث الرابع : (فتناول رؤية أركون لترتيب القران الكريم).

ثم جاء الفصل الثالث : بعنوان (: أركون وتفسير الآيات القرآنية) . وقسمته على ثلاثة مباحث :

تناولت المبحث الأول عن : (نظرة أركون للقصص القرآني وعلاقتها بالأساطير)

وَأمّا المبحث الثاني فكان عن : (القصص القرآني وعلاقتها بالقصص التورانجيلي عند أركون) .

في حين كان المبحث الثالث عن : (أركون وقصة أصحاب الكهف)

ثُمَّ كانت الخاتمة والتي تضمنت أبرز النتائج .

فمَا كان من صواب في هذه الدراسة فهو : من الله تعالى بفضلهِ وَمَنِّه وَكرمه ، وَما كان من زللٍ وخطأ فمني ومن الشيطان ، وأسألهُ سبحانه المغفرة والصفح إنَّه ولي ذلك والقادر .

وَالحَمدُ لله رب العالمين

التمهيد

يستعرض التمهيد حياة محمد أركون وأبرز المحطات التي مرَّ بها ، والتي ساهمت في تشكيل أبرز المعالم المنهجية التي سار عليها أركون في كتاباته حول القرآن الكريم .

حياة محمد أركون[1] :

ولد محمد أركون في تاوريت ميمون في منطقة القبائل الكبرى بالجزائر عام 1928م من عائلة بربرية ، دخل المدرسة الابتدائية، لكنه غادر هذه المنطقة في سن التاسعة ليلتحق بأبيه الذي كان يملك دكاناً للبضائع في منطقة عين العرب (قرية يكثر فيها الفرنسيون بالقرب من مدينة وهران)، ولأنَّ لغته الأصل الأمازيغية اضطر إلى تعلم العربية والفرنسية جنباً إلى جنب، وتأثر بخاله المنتمي لإحدى الطرق الصوفية، وكان يحضر معه مجالس الصوفية في تلك القرية ثم أتم تعليمه الثانوي في مدرسة مسيحية عام 1945م، بعد ذلك دخل الجامعة لدراسة الأدب العربي في جامعة العاصمة الجزائرية ما بين 1950 – 1954م، وفي الأول من نوفمبر عام 1954م دخل جامعة السوربون ليقدم امتحانه في عام 1956م، قدَّم رسالته لدرجة الدكتوراه عن ابن مسكويه عام 1968م، وفي عام 1971م أصبح أستاذاً للفكر الإسلامي في جامعة السوربون، وأستاذاً زائراً في عدد من الجامعات والمعاهد العالمية، ولاسيما معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن، وكان له اهتمام واضح بالفكر الباطني، وفي عام 1999م أسس معهداً للدراسات الإسلامية في فرنسا...

والمتأمل في هذه النبذة الموجزة لحياة محمد أركون، بجانب عوامل أخرى ، يجد أن حياته الاجتماعية وتكوينه العلمي كان لها الأثر الواضح في تكوين خلفيته الفكرية، فقد درس المرحلة الثانوية في مدرسة تنصيرية، وحضر الحلقات الصوفية، ودرس في السوربون على عدد من المستشرقين الفرنسيين، وكان له اهتماماً واضحاً بالفكر الباطني[1].

الفصل الأول : المنهج الأركوني في كتاباته

يعد أركون من أبرز الحداثيين الذين صُدِّروا إلى العالم الإسلامي المنهج الحداثي العلماني ، ليشككوا بالإسلام والقرآن الكريم ، ويزيدوا من الوهن والضعف الذي أصاب الأمة ويعمقوا في مقابل ذلك الهيمنة الغربية المسيحية ، و يمكن تقسيم أبرز معالم المنهج الاركوني على ثلاثة مباحث :

---

1. ينظر الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن ، د محمد السرحاني : 8 ـ 9

المبحث الأول : محمد أركون والحداثة

قبل أن نذكر موقف أركون من الحداثة ، لابد أن نعرف بمصطلح الحداثة ، فالحداثة (Modernisme) تطلق على : ((نتاجات المجتمعات المتقدمة في السياسة والاقتصاد والاجتماع. وما يميز هذه المجتمعات التي تتسم بالحداثة، مقارنة بالمجتمعات التقليدية، هو قدرتها على الابتكار والتغيير. ويعد التغيير هذا قيمة حداثية نقيضها المحافظة، وهي القيمة الأساسية في المجتمعات التقليدية))[1].

ويعرف الدكتور محمد أركون الحداثة على إنّها : ((استراتيجية شمولية يتبعها العقل من أجل السيطرة على كل مجالات الوجود والمعرفة والممارسة عن طريق إخضاعها لمعايير الصلاحية أو عدم الصلاحية))[2]، وفي تعريفه هذا يشدد أركون على شمولية العملية الحداثية، فلا يمكن الأخذ ببعض عناصر الحداثة دون بعض . ويلزم من هذا خضوع المجتمع بكل مجالاته للحداثة التي يبشر لها أركون .

ومفهوم الحداثة يخضع للعديد من المفاهيم ، ولا يمكن حصره في معنى محدد ، فالحداثة التي يريدها أركون تقوم على الآتي :

1 – يعد الإنسان مشكلة محسوسة بالنسبة للإنسان.

2 – مسؤولية معرفة الواقع تقع على عاتق الشخص.

3 – تشكل معرفة الواقع جهداً مستمراً من أجل تجاوز القيود البيولوجية– الفيزيائية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

4 – تهدف هذه المعرفة إلى الخروج خارج السياق الدوغمائي[3] المغلق.

5 – يشبه هذا المسار بمسيرتين، الأولى: مسار الصوفي في حركته الروحية المتواصلة باتجاه الله، ومسار الباحث الذي يرفض التوقف عند نتائج بحثية معينة[1] ، فالحداثة تشترط معرفة الواقع، كما

---

1 . الموسوعة العربية ، هيئة الموسوعة العربية في الجمهورية العربية السورية ، ط1، سوريا ، 2003م : 82/8.

2 . أين هو الفكر الإسلامي المعاصر ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت لبنان ، ط2 ، 1995م : 181

3 . الفكر الدوغمائي : هو الفكر الذي يتوقف عند حد معرفي معين، ولا يعمل على إجراء التعديلات والتغييرات والمراجعة لانساقه المعرفية ، لأنه يعتقد أنه يمسك بالحقيقة لوحده . ينظر قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت :133

يرى أركون، فإنه يتجه إلى دراسته دراسة مباشرة ممثلاً بمحاور واقعية عديدة، لعل منها العلاقة بين <الإسلام وأوربا والغرب>، إذ يرى إنَّ هذه العلاقة قد تعرضت إلى محاولات أدلجة مهووسة ومبالغ فيها ، لذلك يطالب بحل هذه الإيديولوجيا الكثيفة من أجل إحلال الصورة التاريخية <الواقعية> محل الإيديولوجية، من خلال تطبيق المنهج النقدي لتحليل هذه العلاقة [2].

ولذلك يرى أركون : إنَّ القرآن الكريم والكتب السابقة تعاني من سياق واحد ، ويضع القرآن مع الأناجيل في مستوى واحد من الثبوت والدراسة وكلها خاضعة لمفهوم الحداثة وآلياتها ، وأهمية نقدها وتجديدها . وعمله هذا النقدي السلبي النافي – الذي يمسخ كل الحقائق وكل المعاني – لا يمكن بحال أن يكون مذهباً فكرياً بديلاً ؛ بحيث يحل محل شيء من الفرق أو الجماعات التي وجدت على الساحة الإسلامية وليس بأسلوب يمكن قبوله من قِبل المسلمين ؛ ذلك أنه يلغي الجميع ويرى العدمية التي يقدمها ، فالعدمية هي البديل أو التجديد ، فالشك والجحود بكل شيء لن يكون أبداً بديلاً للإيمان ، إذ هذا العدم لا يكون ديناً ولا يبني خلقاً ، وهو يرى – مع هذا – ضرورة النظام في حياة الناس ويرى أهمية القوانين وهذه القوانين عنده تنشئها الضرورة الاجتماعية ، لكن أي مجتمع وأية قوانين ، أما المجتمع فلا يرى أركون أن يكون للإسلام سلطة عليه؛ لذا فليس للإسلام أن يسن أي قانون في ذلك المجتمع إذ ليس للإسلام في نظره أي قانون ولا علاقة بالوجود ، وهو قد بذل وعصر كل سمومه وآفات الملحدين في الغرب لينكر المصادر أولاً ثم لو افترض إثباتها فليس لها حقائق ولا معاني تمس الناس ، ثم إذا فهم منها معاني فتلك المعاني جاءت للحاجة والضرورة ؛ لأنّه لم يكن هناك قوانين في المجتمع. ولذلك يمكن القول : إن تفكير أركون وأسلوب تعامله مع النصوص : إنها تخضع لتجديدية عدمية لا تستند لأي حقيقة علمية .

المبحث الثاني : محمد أركون والاستشراق

يعد أركون من أبرز تلاميذ المستشرقين في تصدير مناهجهم المنحرفة في تعاملهم مع الإسلام وشريعته وقرانه ، منطلقاً من ذات المنطلقات المعادية للإسلام التي انطلق منها المستشرقون ، ولذلك ظهرت علاقة أركون الوطيدة بأساتذته المستشرقين والمنصرين من أمثال : روبير كاسبار و"كلود جيفرى ، والأب جيفري هو أحد أعضاء "مجموعة باريس" التي يرأسها الأب "روبير كاسبار"، وهما

---

[1] . ينظر القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ترجمة وتعليق هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت ، ط2 ، 2005م : 123

[2] . ينظر الإسلام، أوروبا، الغرب– رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي ، ط2 ، 2001م : 5

من رجال اللاهوت المسيحي. يؤمن "كاسبار" بأهمية الحوار مع الإسلام وفقًا لما يدعيه: "بالاحترام المتبادل"، وأهمية "البحث التاريخي" الذي يؤكد عليه أركون. وتعمل "مجموعة باريس" ضمن جماعة أوسع في البحث الإسلامي – المسيحي. تضم هذه المجموعة "فرانسوا سميث فلورنتان" و"جان لامبير" و"كلود جيفري"...

احتضن "كاسبار" المفكر العلماني المعروف "محمد أركون"؛ ليكون عضوًا في "مجموعة باريس" هذه؛ أما أهمية "الأب جيفرى" فتكمن في أنه صديق شخصي "لأركون"، وهذا الأخير يحترم "جيفري" ويبجله كثيراً، ويتردد عليه ويستمع لآرائه، بل يتوق بشدة إلى معرفة تعليقاته وملاحظاته على أفكاره. وفي كلمات مليئة بالإعجاب المشوب بالاستجداء يصف "أركونُ" "الأبَ جيفري" فيقول: " تركت قلمي يجري على هواه كما أفعل عادة عندما أتحدث بكل حرية مع الأب كلود جيفري"، وعنده الجواب عن كل شيء، فهو يستحسن كلامك، أو يعدل منه، أو يصححه أو يكمله، ولكنه نادرًا ما يرفضه. أريد أن أوجه إليه أمنية وطلبًا .. أتمنى لو يجد الوقت المناسب للرد على كلامي. والأب جيفرى كما يصفه "أركون" أحد اللاهوتيين القلائل الذين خطوا خطوة هامة نحو تشكيل ما يسميه: بـ"لاهوت الوحي"، لا يستبعد "القرآن"؛ وإنما يدمجه داخل رؤية ديناميكية حية"...

وقد عقد الدكتور نعمان السامرائي من جامعة الملك سعود مقارنة بين ما قدمه إدوارد سعيد من آراء في كتابه (الاستشراق) وغيرها من الكتب التي تناولت قضايا متشابهة حول العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب ، وبين ما كتبه محمد أركون. وفي الكتاب يتعجب المؤلف من باحث اسمه محمد وينتسب إلى الإسلام ويكتب عنه بأسلوب المستشرقين والحاقدين منهم بصفة خاصة، حيث يقول السامرائي عن أركون: "ومن هنا وجدته يمدح كل فكر منحرف، وكل نحلة هدامة، وفي مقابل ذلك يشن الغارة على كل فكر إسلامي، وعلى الخصوص فكر أهل السنة" وهذه العبارة تختزل كل منهج اركون في كتاباته حول الإسلام [1].

ويمتدح أركون كتابات المستشرقين ويصف إسهاماتهم بأنها ساعدت بشكل علمي في تقدم الدراسات القرآنية ، و ((تقدم معرفتنا العلمية بالقرآن))[2]. و قوله هذا اعتراف منه بأنَّ كتب المستشرقين هي الكتب العلمية الهامة عنده ، و هذا زعم باطل مردود عليه ، لأنَّ المعرفة الصحيحة بالقرآن لا نجدها في مؤلفات المستشرقين و تلامذتهم ، و إنما نجدها في القرآن نفسه أولا ، لأنه

---

1 . ينظر الفكر العربي والفكر الاستشراقي ، د . نعمان السامرائي : 127 . 128

2 . ينظر الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ، ط 1 ، 1999م : 39

يحمل تاريخه في ذاته . و نجدها أيضا في السنة النبوية الصحيحة الموافقة له ثانيا ، و في التراث الإسلامي الصحيح ثالثا .

وقال عن المستشرقين: إنهم ((يُقارعون المسلمات و الفرضيات الإسلامية ، باليقين العلموي[*]))[1]

ويمهد أركون للهجمة الشيطانية على الإسلام بقوله : الصراعات الهائجة التي حصلت بين المسيحية الأوروبية و بين العلم الحديث ، سوف تحصل مع الإسلام ، و ربما كنا قد أصبحنا على أبوابها الآن [2] .و قوله هذا غير موضوعي ، لإنَّ مبنى نظريته الباطلة إلى الأديان أنه لا يُفرق فيها بين الدين الحق و الأديان الباطلة الأخرى ، بمعنى أنه لا يُفرق بين الإسلام و الديانات الأخرى ، فبما أنه حدث صراع هائج في الغرب بين المسيحية و العلم الحديث ، فإنه سيحدث نفس الشيء مع الإسلام و العلم الحديث ، و قوله هذا باطل مردود عليه ، لأن ذلك لن يحدث مع الإسلام ، في ضوء العلم الصحيح و الفهم الصحيح للإسلام . مع العلم أن القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة الموافقة له ، هما منبع العلم الصحيح ، و في القرآن الكريم مساحات واسعة جدا تتكلم عن العلم : موضوعاً و منهجاً و قانوناً .

ولذلك يمتدح أركون المستشرقين، ويطري على مناهجهم في دراسة الإسلام، ويدعي: إنَّ الاستشراق الآن : هو وحده الذي يؤدي إلى تقدم الدراسات في مجال الثقافة الإسلامية والفكر العربي، كما كان عليه الحال أيام جولدزيهر وجوزيف شاخت [3].

وإن كان أركون عند تقديمه لمشرعه الذي يتعلق بالدراسات الإسلامية الذي يسميه التطبيقات الإسلامية [1] ، ينتقد فيه المنهجية الاستشراقية الكلاسيكية المغرقة في وضعيتها وتاريخويتها [2] ، إلا إنه لا يتعدى إلا أن يوافق المستشرقين في مناهجهم وأقوالهم .

---

* ـ كثيراً ما يستعمل أركون(حرف الواو) في تعبيره عن الأفكار ، كما في قوله : علموي ، والشعبوية ، والاسلاموية ، والتاريخوية ..ألخ ، واركون عند استعماله لأسلوب إدخال حرف الواو في مفرداته التعبيرية ، يهدف من وراء ذلك لفرض هيمنة فكرية على القارئ والتعالي عليه بكل غريب وجديد ، فضلاً أنَّ أسلوبه هذا يخالف المتعارف عليه والمشهور من كلام العرب .

1 . تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي بيروت ، ط2 ، 1996 م : 253

2. ينظر الإسلام أوربا ،أركون : 86

3 . ينظر من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ، ط1 ، 1991م : 30

وفي هذا السياق يمتدح أركون أقرانه ممن سار على خُطى المستشرقين ، كامتداحه علي عبد الرازق على ما أورده في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، ويدعي أنه لم يكن للخلافة الإسلامية أساس ديني، وأنها صنعت لنفسها وجهاً دينياً بواسطة الفقهاء[3].

ويصرح أركون بمنهجه الذي يسعى للتشكيك بالإسلام ومصدره ، فيقول محمد أركون في معرض حديث عن مواجهة الذين لا يزالون متمسكين بالنصوص الشرعية: " نحتاج إلى مائة مؤسسة وثلاثين سنة للتمكن من زحزحة المسلمين عن التمسك بحرفية النصوص..". وهو بذلك يردد ما قاله المستشرقين ، ويحذوا حذوهم ، فنجده يردد ما قاله بلاشير في ترجمته للقرآن المجيد من أن قوله تعالى (أو قول محمد إذا أحببتَ) في سورة "الكهف": { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا } ، و في مقولته هذه لا يختلف عن أساتذته المستشرقين ولا يفارقهم لا لفظا ولا معنى . وكذلك عندما يتكلم عن المدة التي بقيها أصحاب الكهف في كهفهم: { وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا }، وهنا يردد ما قاله بلاشير دون تثبت منه ، فيقول : إن فيها شذوذا لغويا، إذ كان ينبغي أن يكون الكلام في رأيهم هكذا: "ثلاثَمائةِ سنةٍ" لا "ثلاثمائةٍ سنين"، وهو ما يرتبون عليه افتراض " العديد من الافتراضات حول شروط أو ظروف تثبيت النص" كما يقول بلاشير[4].

المبحث الثالث : أركون والتصوف وأهل البدع والضلال

نشأ أركون في بيئة صوفية ، وكانت لها أثراً واضحاً في تقبله للفكر المبتدع ، ولذلك يمجد أركون أهل البدع والضلال ويمتدح تفسيراتهم الباطنية فيقول: ((فلا يمكن أن نتكلم عن الإسلام دون أن نخصص فصلا كاملا للتيار النقي المتزهد المدعو في الإسلام بالصوفي ، وهو تيار فكري يمتلك معجمه اللغوي والتقني الخاص به ، كما يمتلك خطابه المتميز ونظرياته المتفردة ... إن التصوف في مقصده النهائي الأعمق يمثل أولا : التجربة المعاشة نتيجة اللقاء الحميمي والتوحيدي بين المؤمن والإله الشخصي))[5]. ويقول عنهم : ((ولهذا السبب وصفوا تجربتهم بأسلوب مؤثر

---

1 . ينظر تاريخية الفكر العربي والإسلامي ، أركون : 55 - 57

2 . ينظر الفكر الأصولي ، أركون :77

3 . ينظر حوار البدايات مع محمد أركون، وهو حوار أجراه معه محمد رفرافي، منشور في مجلة (الفكر العربي المعاصر) في عددها الصادر في سبتمبر (أيلول) 1989م : 86

4 . ينظر : القران من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني : 148

5 . الفكر الإسلامي نقده واجتهاده ، أركون، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر : 153

وحذاقة في التحليل تفرض إعمالهم حتى يومنا هذا على الباحثين في علم النفس الديني))[1] ، ويستطرد أركون في تضخيم دور القراءات الرمزية والتفسيرات الباطنية للصوفية[2] .

وتصريح أركون ودعوته لأسلافه الأوائل من أهل البدع والضلال من أعداء القرآن الكريم والنبي الأمين (ρ) ، فإنَّ منهجه له امتدادات تتعلق أيضا بالتفسيرات الرمزية والمذهب الرمزية لدى فرويد، وماركس، ونيتشه، والتي ترى أن الرمز حقيقة زائفة لا يجب الوثوق به بل يجب إزالتها وصولاً إلى المعنى المختبئ وراءها. فهي مجرد وسيلة إلحادية للثورة على كل غيبي مقدس، وأن الوحي الإلهي – كما يزعمون – مجرد أسطورة لا حقيقة له...

ولذلك كان لأركون موقفا من فقهاء القرآن المؤسِّسين في صدر الإسلام ، فيشن أركون هجوماً عنيفاً على الفقهاء والمفسرين، ويكيل لهم العديد من السباب والشتائم مما لا يتفق بحال مع الطابع التاريخي العلمي الموضوعي الذي يدّعي تقمصه في أبحاثه وكتاباته، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: الشيء الذي ينبغي أن يحظى باهتمامنا هنا وينبغي التركيز عليه هو ذلك الزعم المفرط والغرور المتبجح الذي يدّعيه الفقهاء بأنهم قادرون على التّماس المباشر بكلام الله، وقادرون على الفهم المطابق لمقاصده العليا ثم توضيحها وبلورتها في القانون الديني[3]، وقوله –واصماً إياهم بصفة (الانتهازية)–: "سوف نرى فيما بعد أن انتهازية المشرعين تصبح أكثر وضوحاً وجلاء عندما يتنطعون لتعيين الآيات الناسخة والمنسوخة"[4]. ويدعي أن الفقهاء كانوا يعتمدون في صدر الإسلام على آرائهم الشخصية في تقريرهم الأحكام الفقهية فيما يتعلق بالأحداث والوقائع المستجدة، ثم يُضفوا (يُسبغوا) عليها الصفة الشرعية[5]. ويتهمهم بالتلاعب بالآيات القرآنية، فيقول: "إن المشرعين من البشر (أي الفقهاء) قد سمحوا لأنفسهم بالتلاعب بالآيات القرآنية من أجل تشكيل علم للتوريث يتناسب مع الإكراهات والقيود الاجتماعية الاقتصادية الخاصة بالمجتمعات التي اشتغل فيها الفقهاء الأوائل"[6].

ويُصرُّ في معظم كتبه على وصف منهج جمهور المسلمين بـ (الأرثوذكسية) الذي يعني – في نظره– الجمود والانغلاق الفكري؛ وفرض تفسيرهم لنصوص الكتاب والسنة بالقسر والقوة وعده

---

[1] . الفكر الإسلامي نقده واجتهاده ، أركون : 154

[2] . الفكر الإسلامي نقده واجتهاده ، أركون : 157 ـ 159

[3]. ينظر من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، أركون : 15 ـ 16

[4]. ينظر من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، أركون : 38

[5] . ينظر الفكر العربي ، أركون ، ترجمة عادل العوّا ، منشورات عويدات ، ط3 ، 1985 م : 57 / 58 / 76

[6] . من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، أركون : 67

التفسير الوحيد الصحيح المستقيم، وما عداه هرطقة وضلالاً. ويدعي أنهم يمارسون رقابة أيديولوجية صارمة على كل الفئات الاجتماعية وعلى كل مستويات الثقافة في البلاد الإسلامية، مما حد كثيراً من حرية البحث والتعبير، وأدى بالتالي إلى تأخر الفكر الإسلامي[1].

الفصل الثاني : أركون ومنهجيته في القرآن الكريم

لم يكمن لمنهجية أركون في تعامله مع القرآن أي جديد ، فهو اتبع المنهجية الاستشراقية في تعامله مع القرآن الكريم . وقد توسل أركون بعبارات رنانة ووسائل شتى لتقرير منهجه .

المبحث الأول : أركون وتاريخ القرآن الكريم وتدوينه وجمعه

أركون وتاريخ القرآن الكريم :

يعتمد أركون على منهج النقد التاريخي[2] في تعامله مع مصدر القرآن الكريم وتاريخه ، ذلك لأنه يعد القرآن الكريم وثيقة تاريخية تعبر عن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحقبته التاريخية ، وهذا المنهج شاع استعماله عند المستشرقين في بحثهم عن مصدر القرآن الكريم ، والذي يمثل عندهم عدد من مصادر توراتية وإنجيلية فضلاً عن الأساطير والتراث العربي وغيرها من المصادر المزعومة ، ولذلك سعى أركون في استيراد المنهجية الاستشراقية وتطبيقها على القرآن الكريم ، ولذلك يقول أركون : ((ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس))[3] ، فأتباع هذا المنهج يدرسون الإسلام في حدود الحقبة الزمنية التي ظهر فيها وفي ضوء البيئة الاجتماعية والثقافية التي عمل عبرها مع التأكيد على نسبية وعدم اتساع قواعده ومفاهيمه لتطبق على حقب زمنية لاحقة.

ويؤكد أركون على مفهوم <التاريخية>، وهو بهذا المصطلح لم يأتِ بجديد فالتاريخية هي تعبير فضفاض عن منهج النقد التاريخي ، فاركون يجيد التلاعب بالمصطلحات التي توهم القارئ

---

[1]. ينظر من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، أركون : 27

[2] . منهج النقد التاريخي هو: " عبارة عن ترتيب وقائع تاريخية أو اجتماعية وتبويبها وترتيبها، ثمَّ الإخبار عنها والتعريف بها باعتبارها الظاهرة الفكرية ذاتها " . ينظر نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2002م.: 1 / 166

[3] . الفكر الإسلامي قراءة علمية ، أركون ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي بيروت ، ط2، 1996م: 203

وتؤثر فيه ، ولذلك يطالب أركون بتشجيع الدراسات التاريخية[1]. ويميز الدكتور هاشم صالح بين مفهومي : التاريخية L'historicité ، التي تعني: دراسة التغير والتطور الذي يصيب البنى والمؤسسات والمفاهيم من خلال مرور الأزمان وتعاقب السنوات، وبين مفهوم : التاريخوية L'historicisme، فهي مرتبطة بالفلسفة الوضعية[2] ، التي انتشرت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، وتعني: دراسة التاريخ وكأنه محكوم بفكرة التقدم المستمر في اتجاه محدود وثابت ومعروف سلفاً ، أما التاريخية فلا تتنبأ بأي تحرك مسبق للتاريخ في اتجاه معين، بل تترك حركة التاريخ المستقبلية مفتوحة باتجاه كل الاحتمالات [3].

ولذلك فان ما يسميه أركون : بمنهج التاريخية ، الذي اعتمده في دراساته للقرآن و السنة ، فهو يرى إن القرآن الكريم محكوم بظروفه التاريخية الزمانية و المكانية التي نزل فيها ، فلا يتجاوزها ، و لا يخرج عن قيودها الصارمة ، فكل شيء مشروط بتاريخيته أو بلحظته التاريخية التي ظهر فيها [4] .

وفي هذا السياق يحاول أركون أن يعطي للنظرية ـ التي أخذها من أساتذته المستشرقين ـ القوة والأهمية فهو يصور للقارئ إنَّ الإسلام والأديان الأخرى تحاول أن تمنع اتباعها من تطبيق المنهجية التاريخية في التعامل مع الكتابات المقدسة ، فهو يرى : إنَّ العقائد الدينية تُحاول حماية حقائقها من مناهج النقد و البحث التاريخي ؛ ذلك لأنَّ الحقائق الدينية لا تتطابق مع الحقائق الواقعية من تاريخية ، أو فلكية ، أو فيزيائية ، أو غيرها ، لذا فإنَّ العلماء من كل الأديان ، بما فيها الإسلام ، يُحاولون منع تطبيق المنهجية التاريخية على النصوص المقدسة[5]. وأركون في مقولته هذه تعمد الوقوع في

---

[1] . ينظر قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم ، أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت : 71

[2] المنهج الوضعي : هو مذهب ينسب إلى أوغست كونت (Auguste Comte) والذي يرى أن الفكر البشري لا يستطع أن يكشف عن طبائع الأشياء ولا عن أسبابها القصوى وغاياتها النهائية، بل يستطيع أن يدرك ظواهرها وعلاقاتها وقوانينها، أي أن المعرفة الصحيحة هي المعرفة المبنية على الواقع والتجربة، أما في مجال الفلسفة فهو يسعى إلى تعويض التفسير اللاهوتي الذي يقوم على السببية المتعالية والتفسير الميتافيزيقي الذي يقوم على تصور بسيط واحد، فالتفسير الوضعي يقوم على القانون الذي يؤسس المعرفة على الوقائع: ينظر معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب تونس 2004م : 487

[3] . ينظر تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، أركون : 24

[4] . ينظر الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ، أركون : 193

[5] . ينظر الإسلام أوربا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ، أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ، ط 2 ، 2001م : 75

مغالطة واضحة ، بمساوية الإسلام بالأديان الأخرى ، فكلامه ليس له قيمة علية في مجال القرآن الكريم ، فالقرآن الكريم تمَّ حفظه وتدوينه في حياة الرسول (ρ) ، ومن هذا المُنطلق ليس له تاريخ بالمعنى الذي فهمهُ علماء نقد التورانجيل[1] في دراستهم للعهد القديم والعهد الجديد حيث مَرّت نصوص العهدين بمرحلة تاريخية طويلة قبل تثبيت النص، وَهي فترة تصل إلى ألف عام بالنسبة للعهد القديم وأربعة قرون بالنسبة للعهد الجديد، وَهذا هو المقصود بعبارة (تاريخ النص) عند علماء نقد التورانجيل، وَهي عبارة من الصعب تطبيقها على نص القرآن الكريم الذي حُفظ ودُوِّنَ في فترة نزوله على الرسول (ρ) ، ولم يَمرَّ بمراحل تطور وتحريف وتغيير تؤدي إلى تثبيت للنص كما حدث لكتب اليهود والنصارى، وعبارة تاريخ النص تعني المسافة التاريخية الفاصلة بين زمن نزول النص وبين زمن تثبيت النص[2]، لذلك فإنَّ من أبرز معالم هذا المنهج: اعتماده الاستقراء الناقص، الذي يعتمد على الأحداث البارزة والتي تؤدي غالباً إلى الخطأ في الحكم، فضلاً عمّا يَصدر عن هذا المنهج من أحكام جازمة مُستندة في الغالب على مسائل تاريخية قديمة ليست لدينا جميع مُستنداتها[3] ، فضلاً أن أركون يناقض نفسه في كتاباته ، فهو يزعم : إن التوراة هي مصدر موثوق صحيح ، في حين أنه في مقولته السابقة يُعمم حكمه على كل الكتب الدينية بما فيها التوراة ، بأنَّها تضم حقائق دينية لا تتطابق مع حقائق التاريخ و الفلك و الفيزياء ؟ . فاركون لا يتورع في مناقضة أقواله ، إن كان ذلك يخدم أهدافه وغاياته ، والتناقض وعدم الاستقرار اقتبسه أركون من أساتذته المستشرقين الذين اشتهروا بوقوعهم بالتناقضات والمغالطات التي تخدم أغراضهم . وفي الحقيقة فان لهذا المنهج امتداد أعمق فهو يتصل بأستاذ الملبسين والمشككين بإلوهية الله تعالى وعدله وقدرته ـ ابليس ـ عليه من الله ما يستحق ، وأتباعه من اليهود الذين قال الله تعالى فيهم : { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ

---

[1]. (التورانجيل) هي: كلمة اختارها، د. أمجد يونس الجنابي لتحل محل كلمة (الكتاب المقدس)، وذلك لما في الأخيرة من إشكال في إطلاقها على الكتاب الذي يجمع (التوراة) و (الإنجيل)، ولتسليمنا كمسلمين بما أصابهما من تحريف كبير، فالتورانجيل كلمة منحوتة وفق إمكانية النحت في اللغة العربية، وهي تعبر بدقة عن المقصود من دون أن نلجأ إلى إلصاق صفة المقدس فيه. ينظر آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، د. أمجد يونس: 59، فضلا عن أن القدسية المنسوبة للكتاب بعهديه القديم والجديد هي من قول النصارى، فاليهودية لا ترى في العهد الجديد أيَّ قُدسية، فقدسية هذا الكتاب خاصة بالنصرانية، أما المسلمون فيعتقدون أن الكتاب المقدس الوحيد اليوم هو القران الكريم المُطهر من كلِّ عبثٍ و تحريف، فضلاً عن ذلك أنَّ المستشرقين لا يرون أيَّ قُدسيةٍ للقران الكريم، فالمعاملة بالمثل أولى ..

[2] . ينظر آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، د . محمد خليفة حسن : 107 ـ 108

[3] . ينظر النقد الأدبي أصوله ومنهجه، سيد قطب : 167 ـ 168

تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} آل عمران (71) . واستمرارا لهذا المنهج يقول أركون عن نفسه : إنه كان يطمح بأن يُخضع الإسلام للدراسة و الأشكلة – أي إثارة الإشكالات و الشبهات حوله– ، بالاعتماد على نتائج العلوم الإنسانية على غرار ما حدث للمسيحية في أوروبا[1].

فاركون لا يرى توافقاً بين معطيات القرآن الكريم وبين التاريخ ، فقد زعم : إنَّ الروايات التاريخية القرآنية أحدثت أنواعا من الخلط و الحذف ، و الإضافة و المغالطات بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس[2] . فضلاً عن هذا الافتراء على القرآن الكريم ، والذي كعادته لا يقدم دليلا واضح على دعواه بل مجرد تلبيسات يشكلها ، والتي يمكن أن نسميها : اركوتلبيسوية ، تماشيا مع منهجه في إنتاج مصطلحات ومفاهيم عائمة لا تستند إلى حقائق علمية مجردة ، لكننا في هذا المصطلح لا نتجنى على أركون ولا نبتعد عن التوصيف الدقيق لمنهجية أركون ، فاركون يعرف جيدا أن القرآن الكريم ليس كتابا في التاريخ ، و إنما هو كتاب هداية انزله الله تعالى لبني الإنسان ، فيه الهداية و الرشاد من : أخبار الأنبياء و أحكام الحلال و الحرام ، و التربية والأخلاق ، لكنه في الوقت ذاته أشتمل القران الكريم على كثير من الحقائق العلمية و التاريخية ، التي ذكرها الله تعالى لإغراض متعددة في مقدمتها تأيد للنبي محمد(ρ) في رسالته الخالدة ، فما ذكره القرآن في هذا الصدد حقائق علمية لا لبس فيها ، ولو كان فيها من ذلك شيئا لطار بها أركون وأمثاله بها .

فالله تعالى حين قال في كتابه عن القرآن الكرام : { الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } –سورة هود1– . وغيرها من الآيات تضع أركون وغيره من الملّبسين في مقام التحدي الذي لا مفر منه ، فأما أن يأتوا بالحق الأبلج ، وإما أن يعلنوا باطلهم المتلجلج ، لكن أركون كما قال يتوسل بهكذا مناهج لا لشيء إلا للتشكيك والتلبيس ، وهذا بلا شك من الأمور الخطيرة التي تؤثر سلبا على عقيدة الأمة التي أنهكتها المواجهة العسكرية مع الغرب ، فالهزيمة الفكرية التي يصدرها أركون للأمة لا تستند إلى الحقائق العلمية والتاريخية ، فالاركوتلبيسوية إن صح التعبير تعمل على تشكيك المسلمين في عقائدهم وبالتالي تعميق السيطرة الغربية على الأمة الإسلامية التي تمر في هذا الوقت بغيبوبة وسبات عميق ، يعمل العلماء الراسخون على نهضتها والانتصار لها فكريا وتصحيحيا .

ومما يدلل على تخبط أركون في استعماله منهج النقد التاريخي ، فهو ينقض مزاعمه السابقة عندما قال : و لهذا السبب أقول بأنَّ البحث التاريخوي الأكاديمي أنهك نفسه من دون جدوى ، من

---

1 . ينظر الفكر الأصولي ، أركون : 22 ـ 25 ، وينظر القرآن من التفسير الموروث ، أركون : 10 ـ 16

2 . ينظر الفكر الإسلامي ، أركون : 203

اجل تقليص الصحة الإلهية للخطاب القرآني ، و ذلك عن طريق الإكثار من ربطه بالمرجعيات القديمة [1] . فهذا الاعتراف يؤكد فشل الدراسات الاستشراقية و تلامذتهم في سعيهم المعادي في استعمال منهج النقد التاريخي والذي يؤدي لسلب الوحي الإلهي عن القرآن الكريم ، و إخضاع القرآن للمقاييس والمعايير البشرية.

ويفترض أركون بتعبير جماعي وكان افتراضاته مقررة عند القراء ، فيقول : هنا نجد أنفسنا أمام المشكلة الضخمة للكلام الشفهي –أي القرآن– الذي أصبح نصا [2]. فهذه المشكلة الوهمية لا نجدها إلا عند المستشرقين ، لأنه لا توجد في تاريخ القرآن الكريم أية مشكلة ضخمة و لا بسيطة تتعلق بتدوينه و حفظه .

أركون وتدوين القرآن الكريم :

يتناول أركون قضية تدوين القرآن الكريم بشكل يوحي ويشير لدعوى التحريف ، وان تحريفاً وتدخلاً حدث في النص القرآني أثناء التدوين ، فاركون يرى : إنَّ القرآن مرَّ بمرحلتين ، الأولى : شفوية زمن النبي (ρ) ، و الثانية : مكتوبة مغلقة ناجزة نهائية تمت زمن التدوين الرسمي[3] .

ومقولته تتضمن تحريفاً وتزيفاً للتاريخ ، ذلك لأنَّ القرآن الكريم لم تكن له إلا مرحلة واحدة فقط ، كان فيها محفوظا في الصدور ، و مكتوباً في السطور ، و مفتوحاً و مُغلقاً بيد الرسول(ρ) ، و أما جمعه فقد كان في زمن أبي بكر ، و توحيده في زمن عثمان ، فهو عمل لا يُمثل مرحلة جديدة ، و إنما عمل شكلي تنظيمي تكميلي للمرحلة الأولي . و الأدلة على ذلك واضحة ناصعة في التاريخ ، في حين أركون لا يسند قوله لأي دليل تاريخي يؤيد دعواه .

ويستمر أركون في التلبيس والتشكيك حول جمع القرآن الكريم وتدوينه ، فيزعم :إن النص القرآني الشفوي دُوّن كتابة في ظروف تاريخية لم تُوضّح حتى الآن ، و لم يُكشف عنها النقاب [4] . فدعوى أركون بعدم وضوح الظروف التاريخية التي دوّن فيها القرآن الكريم ، هي دعوى باطلة لا تستند إلى دليل ، فضلاً أنه بعبارته تلك يوحي ويشير أن هناك تدخلاً ومشاركة غامضة من كاتبي القرآن الكريم ، وإنَّ تلك المشاركة قد تعمد إخفاؤها لكي لا تكشف المؤامرة المفترضة في مخيلة

---

1. القرآن من التفسير الموروث ، أركون : 100
2. ينظر الفكر الإسلامي ، أركون : 146
3. ينظر الفكر الأصولي ، أركون : 131 / 205 / 337
4. ينظر الفكر الأصولي ، أركون : 41

أركون ، فالقرآن الكريم له مرحلة واحدة كان فيها محفوظا و مدونا زمن رسول الله (ρ) ، و تاريخه معروف ثابت موثق في ظروف عادية للغاية ، ذكرنا طرفا منها .

وانطلاقاً من المدرسة الاستشراقية التي ينتمي إليها أركون ، يَعمد إلى إثارة الشكوك و الشبهات التي يروج لها و يبنى عليها أوهامه ، ومن أساليبه التي تصب في السياق ذاته من دعوى تحريف القرآن ، كما في مقارنته بين الأناجيل و بين القرآن ، فقال : إنه إذا كانت الأناجيل دُونت فيما بين 70 – 100 سنة ، من موت المسيح ، فإن القرآن أيضا له مرحلة شفوية عندما دُوّن بعد 30 سنة حسب التراث المعروف على حد زعمه[1] . و مقولته تحتوي على الأباطيل والفرضيات ، فلا مجال للمقارنة بين الأناجيل و القرآن الكريم متنا و إسنادا و توثيقا ، فإذا كانت الأناجيل دُونت ما بين 70–100 سنة ، من وفاة المسيح–عليه السلام– و ليست لها أسانيد ، فإن أمر القرآن الكريم يختلف تماما ، فهو قد حُفظ و دُون كله زمن رسول الله(ρ) ، ووصلنا بالتواتر مكتوباً و محفوظاً و مُسنداً . أما حكاية الثلاثين سنة ، فهي خرافة من خرافات أركون الذي لا يمل من التعلق بالأوهام و نفخها ، وقد سبق أن ذكرنا أخباراً و روايات صحيحة تؤكد قطعا بأن القرآن دّون كاملاً زمن رسوله الله صلى الله عليه وسلم ، و جُمع زمن أبي بكر في نفس السنة التي تُوفي فيها النبي(ρ) في سنة 11 للهجرة ، و وُحّد مصحفه زمن عثمان سنة 25 هجرية ، فبينه و بين وفاة رسول الله 14 سنة ، و ليس 30 سنة ، فضلاً أن أركون ذكر : إنَّ المصحف كان قد استغرق 25 سنة بعد وفاة النبي (ρ) لكي اكتمل زمن عثمان [2]. وهذا التناقض لا يعدوا أن يكون منهجا لاركون في تلبيسه على القارئ إن كانت تناقضاته ومغالطاته تؤدي له مصلحة ومنفعة في تحقيق أهدافه وأغراضه ؟.

أركون وجمع القرآن الكريم :

ينسب أركون تدوين القرآن وجمعه للخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه ، وهذه النسبة لسيدنا عثمان لم تكن اعتباطا وتخبطا منه ، فاركون قصد من مقولته إضعاف القران الكريم والسير في اتجاه التحريف له ، فكلما تأخرت الفترة الزمنية للتدوين والجمع كلما كانت شبهة التحريف أقوى كما هو الحال مع التورانجيل في تدوينها وجمعها ، ولذلك قصد أركون نسبة الجمع والتدوين لسيدنا عثمان ، فقد زعم أركون : إن عثمان اتخذ قرارا نهائيا بتجميع مُختلف الأجزاء

---

[1] . ينظر تاريخية الفكر العربي ، أركون : 173

[2] . ينظر تاريخية الفكر العربي ، أركون : 288

المكتوبة سابقا ، و الشهادات الشفوية التي أمكن التقاطها من أفواه الصحابة الأول ، فأدى ذلك إلى تشكيل نص متكامل فُرض نهائيا بأنه المصحف الحقيقي لكل كلام الله [1].

و في مقولته من المغالطات البيّنة الواضحة ، ففيه افتراء مُتعمد لا دليل له عليه من التاريخ و لا من الاستنتاج العقلي، فنسب جمع المصحف لسيدنا عثمان ، ولم يسند لمقولته أي دليل تاريخي ، والمعروف من الروايات أن من جمع القران الكريم هو سيدنا الصديق رضي الله عنه ، وكذلك أن سيدنا عثمان عندما قرر توحيد المصحف لم يكن ذلك عملا فردياً و بلا سبب ، و إنما هو فَعل ذلك عندما حدث خلاف بين المسلمين في القراءات و الحروف ، فقد روي إن حذيفة بن اليمان–رضي الله عنه– جاء إلى عثمان و أخبره بما حدث من خلاف بين المسلمين حول القرآن عندما شهد فتح أرمينيا سنة 25 هجرية ، و طلب منه الإسراع لوضع حل قبل أن يختلف المسلمون في الكتاب كما اختلاف اليهود و النصارى . فجمع عثمان الصحابة الذين كانوا بالمدينة ، و تشاور معهم فيها ، فكان الإجماع على مصحف واحد ، فلا تكون فرقة و لا اختلاف ، فوافقوه و قالوا له : نِعم ما رأيت [2]. وأما قول أركون بأنَّ المصحف استغرق 25 سنة بعد وفاة النبي(ρ) لكي يكتمل زمن عثمان[3].

فكلام أركون لا يستند لأي حقيقة تاريخية ، لأنَّ المصحف اُكتمل متناً و حفظاً و تدويناً –من دون جمع– ، زمن رسول الله (ρ) ، فعندما توفي تركه كاملا ، من دون جمع[4] ، فجمعه أبو بكر ، و وحده عثمان–رضي الله عنهما– ، فالجمع الذي حدث زمن أبي بكر ، و التوحيد الذي تمَّ زمن عثمان ، لم يكن لهما أي تأثير في محتوى القرآن و متنه ، من حيث الزيادة أو النقصان . فالذي حدث هو أمر شكلي خارجي تنظيمي توثيقي يصب في خدمة النص و الحفاظ عليه ، لا أكثر من

---

1. ينظر تاريخية الفكر العربي ، أركون : 288

2. صحيح البخاري : ج4 / رقم الحديث : 4702

3. ينظر تاريخية الفكر العربي ، أركون : 288

4. والحكمة من عدم جمع النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، إن رسول الله (ρ) كان ينظر نزول الآيات القرآنية ويتوق لنزولها عليه ، وانه كان ينتظر نزولها لآخر لحظة ، فلم يجمع القران الكريم في كتاب واحد لعدم علمه متى تنزل عليه آخر آية قرآنية عليه ، مع علمه وإخباره من الله تعالى منذ نزول الوحي الأول عليه أن الله تعالى قضى بان تكون تلك الآيات النازلة عليه كتابا كما في الكتب السابقة بل وأكمل منها وأعظم ، فقد قال تعالى في سورة المدثر وهي أول سورة نزلت بكاملها على النبي محمد : {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ} ، وفي هذه الآية قرن الله تعالى أهل الكتاب بالرسالة الإسلامية والمؤمنين ، في إشارة إلى النبي(ρ) وصحبه أن الرسالة الإسلامية سينزل عليها كتابا كما حدث للأنبياء والأمم من قبله .

ذلك ولا اقل ، لكن أهل الكفر والزيغ يرجفون ويلبسون حول القرآن الكريم من غير بينة ولا حجة مقبولة .

كما وقع أركون في مغالطات تاريخية منها : عدم الدقة في المدة التي حددها لاكتمال النص القرآني ، فهو يقول –حسب زعمه– إن اكتمال النص كان على مدى : (25) سنة ، وهي مدة غير دقيقة ، لأنَّ النبي(ρ) توفي سنة (11) هجرية ، و عثمان رضي الله عنه عندما وحد المصاحف كان ذلك عام (25) للهجرة ، فيكون الفارق الزمني (14) سنة و ليس (25) سنة .

ويذكر أركون : إنَّ عثمان بعد موت النبي(ρ) ببضع سنوات راح يُشكل نسخة رسمية للوحي– المصحف– [1] . وهذا واضح البطلان ، فيه إغفال لما ما قام به أبو بكر الصديق ، فضلاً انه استعمل عبارة : بضع ، والبضع في اللغة العربية هو العدد ما بين : 3–9 كما هو الغالب عند أهل اللغة ، و عليه فيكون عثمان قد شكّل المصحف حسب زعم أركون ما بين 3 إلى 9 سنوات من وفاة الرسول–عليه الصلاة و السلام– ، وهذا كلام غير دقيق ، لأن عثمان شرع في توحيد المصحف بعد 14 سنة من وفاة رسول الله (ρ) ، و ليس بعد3 أو 9 سنوات من وفاته . فضلا أن توحيد المصاحف مضى بإجماع الصحابة ومشاركتهم لا كما يصور أركون بأنه عمل فردي قام به سيدنا عثمان ، وفي الحقيقة أن لهذه الشبه أساساً مصدره أهل البدع والضلال الطاعنين بالأصحاب رضي الله عنهم .

المبحث الثاني : أركون والوحي القرآني الأول

يتناول أركون لحظة الوحي الأول الذي أُنزل على النبي محمد (ρ) ، ويصور تلك الحادثة بتصوير بشري ينزع عنها الصفة الإلهية للوحي القرآني ، مستمد رؤيته من أساتذته المستشرقين ، ولذلك يعبر أركون ، عن تلك اللحظة : بالحداثة التي أنشأت أنظمة معرفية وفقهية وقانونية وعقائدية تخالف الأبنية القديمة والأنظمة الجاهلية ، بحسب القرآن، ثم تأسس تراث آخر أنتج حول لحظة الحداثة هذه، تطور وتراكم وتغير تاريخياً بصورة متواصلة [2].

فاركون يصور الوحي القرآني الأول باللحظة الحداثية ، ولهذا التعبير الخبيث أبعاداً لا تخفى على ذي لب ، فاللحظة الحداثية هي التي أنتجت وأبدعت القرآن الكريم ، فالنص القرآني نشأ وتطور بشكل تراكمي انطلاقاً من تلك اللحظة الحداثية كما يزعم أركون ، فكأن أركون بمقولته السابقة كَشفَ

---

[1]. ينظر الفكر الإسلامي ، أركون : 190

[2]. ينظر تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، أركون : 39

عن حقيقة الوحي القرآني ، وإن ذلك الوحي كان تعبيراً حداثياً ، وأنَّ كلَّ الآيات التي تلت تلك اللحظة الحداثية كانت مرتبطة بها ، أو كما يعبر عنها أركون بالتراث الذي جاء انعكاساً ورفضاً للبيئة الجاهلية ، فاركون بكل اصطلاحاته وأقواله يؤسس لمفهوم بشرية القرآن الكريم وسلب الوحي الإلهي ، وهي المعركة ذاتها التي خاضها المشركون من قبله .

فضلاً أنَّ الروايات التاريخية التي أوردت تلك الحادثة ، بينت بشكل واضح الحالة الشعورية التي انتابت النبي محمد (ρ) حين تلقى الوحي الإلهي ومن أشهرها ما رواه البخاري بقوله: ((حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنّها قالت: أول ما بدىء به رسول الله(ρ) من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثمَّ حُبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذواتِ العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال: ما أنا بقارئ . قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ} ، فرجع بها رسول الله (ρ) يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر (لقد خشيت على نفسي)، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً)) [1]. وهذه الرواية تبين الحالة الشعورية للنبي الأكرم (ρ) إذ بينت كيف تلقى النبي محمد الوحي من ناقله جبريل عليه السلام ، لا كما يصور أركون بأن تلك الحادثة نابعة من نفسه وذاته صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثالث : أركون ولغة القرآن الكريم

ينظر أركون إلى القرآن الكريم من الناحية المجازية اللغوية ، فزعم أنَّ : القرآن كالأناجيل ليست إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري . وإنَّ هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانونا واضحا . و أنَّ الوهم الكبير هو اعتقاد الناس بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال و فعال ، و مبادئ محددة ، تُطبق على كل الحالات و في كل الظروف[2]. إنَّ المجاز الأركوني المزعوم لا وجود له في القرآن الكريم أصلاً ، لأنَّ كل ما في القرآن حقائق ، وهي على نوعين :

---

[1] . صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي : 9

[2] . تاريخية الفكر العربي ، أركون : 299

الأول : نوع واضح بيّن سماه الله تعالى : الآيات المحكمات هن أم الكتاب . و النوع الثاني : يتضمن هو أيضا حقائق ، لكنه يحتمل عدة معان ، و نحتاج لفهمها إلى بحث و تدبر و علم غزير ، لمعرف معانيه ، وقد لا نصل إلى معرفته ، وهذا النوع يتعلق بالآيات المتشابهات ، التي يتعلق بها الذين في قلوبهم زيغ ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويله ، و لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى .

فضلاً أنَّ مسألة المجاز في القرآن لا يصح النظر إليها إلا من داخل القرآن نفسه ، و ليس من خارجه كما فعل أركون ، لأنَّ المجاز الأركوني لا وجود له أصلاً في كتاب الله تعالى . و بما أن القرآن كله علوم و حقائق و آيات بينات ، فإنه إذا سلّمنا بوجود المجاز اللغوي في بعض آيات القرآن ، كقوله تعالى :{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} – سورة يوسف/82–، فإنَّ هذا المجاز يُعبر عن الحقيقة و لا ينفيها ، و إنَّما هو أسلوب من أساليب التعبير عن الحقيقة في القرآن الكريم ، مع العلم أنَّه مجاز محكوم بمحكمات الكتاب و ثوابته . و ليس هو كما زعم أركون ، بأنَّه مجازات عالية لا تُفهم و غير مُحكمة ، و لا محددة و لا ثابتة ، و من ثم لا يمكن الاحتكام إليه بطريقة صحيحة ، فهذا افتراء على الكتاب و السنة و التاريخ .و لا يخفى عنا أن حكاية المجاز التي أثارها أركون هنا ، هي نفسها حكاية المتشابه في القرآن الكريم ، عندما زعم أن آياته مُتشابهة لا يوجد معيار ثابت واضح لفهمها . و قد أبطلنا زعمه هذا ، وهو هنا أثارها من جديد باسم المجاز اللغوي الواسع غير المحدد .

فضلاً أنَّ في كلامه عن المجاز في القرآن الكريم فيه من الأبعاد الخطيرة ، فهو في مقولته يسلب المحتوى والمضمون القرآني من معانيه ودلالاته ، وأما الوهم الذي يدعيه أركون بأنَّ الناس يريدون أن تقنن اللغة العربية لا دليل عليه فعلماء اللغة يشبهون العربية بالكائن الحي الذي يدرس بسياقاته وظروفه التي تحيط به ، في حين أركون يرى إنَّ المجازات والاستعارات تطغى على الحقائق في القرآن الكريم

ويدَّعى إنَّ العلماء المسلمين لم يتنبهوا إلى أنَّ في القرآن مجازا واستعارات، وأنهم جميعاً ـ من سنة وشيعة وإباضية ـ كانوا يأخذون كلام النص على حقيقته وكأنه خالٍ من المجاز. هذا في حين أننا نعلم أن النص الديني مليء بالمجاز، بل وينفجر بالمجازات والاستعارات الخارقة والرائعة[1]. وهذا الاستقراء غير دقيق فقد كتبت الكثير من كتب التفاسير التي تحتوي المجازات والإشارات ، بل إن أهل البدع اشتهروا بالتفسيرات الباطنية ؟ و أركون يناقض مقولته السابقة في موضع آخر فيقول عن المجاز إنَّه : ((قد دُرِس كثيرا بصفته أداة أدبية لإغناء الأسلوب في القرآن وتجميله .. لم يُدْرَس

---

[1] . ينظر الإسلام أوربا الغرب ، أركون : 192

أبداً في بُعدِهِ الإبستمولوجى بصفته محلاً ووسيلة لكل التحويرات الشعرية والدينية والإيديولوجية التي تصيب الواقع))[1]، فضلاً عن اعترافه بأنَّ من المفسرين من كان يتناول القرآن تأويلا رمزيا باطنيا في مقابل من يأخذونه على ظاهره وحرفيته [2]. والمجاز بالأسلوب الذي يريده أركون أبعد بكثير من المجاز الذي حدث فيه الخلاف بين المسلمين كما ذكر العلاّمة السيوطيّ في الإتقان الاختلاف في وقوع المجاز في القرآن " و إنَّ الذي عليه الجمهور هو القول بوقوعه، وقد أنكر الظاهرية وقوع المجاز في القرآن، ومن الشافعية أنكره أبو العباس القاص، ومن المالكية أنكره محمد بن احمد بن خويز منداد ". وقالوا" أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عن الكذب، وإنما يحتاج إلى المجاز من لا يحسن التعبير. وقد رد السيوطيّ على أصحاب هذا الاتجاه ، فقال: وهذه شبهة باطلة، فلو سقط المجاز من القرآن سقط منه شَطْرُ الحُسن فقد أتفق البلغاء على إنَّ المجاز أبلغ من الحقيقة، ولو وجب خلوّ القرآن من المجاز وجب خلوَّه من الحذف والاختصار والتوكيد والتشبيه وغيرها". لكن المجاز الذي يرمي إليه أركون يقصد منه انتفاء مضمون القرآن وسلب معانيه ودلالاته[3] .

وليس هذا مكان الحديث عن المجاز ولا الخلاف فيه . لكن جاء بمناسبة خلط أركون وتناقضه؛ إذ يقول : القرآن حقائق نزلت قديماً ثم يرجع ويقول مجازات عالية . إن أركون لا يتحرج من مناقضة أقواله إن كانت في سياق التلبيس والإشكال على القرآن الكريم .

المبحث الرابع : أركون وترتيب القرآن الكريم

قامت محاولات استشراقية لتغيير ترتيب القرآن الكريم ظنًّا منهم أنهم يستطيعون أن يرتبوه حسب النزول التاريخي، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع لعدم اعتمادهم على روايات صحيحة موثوقة ، فضلا عن ارتباط تلك المحاولات بمنطلقات معادية للإسلام ، تهدف لتشكيك فيه ، ومن هذه النظرة ينطلق أركون ليشكك بالترتيب القرآني ويزعم : إنَّ طريقة ترتيب القرآن غير منسجم ، و لا متجانس في تركيبه و ترتيبه ، فيقول : ((قد يبدو من غير المعقول أو المحتمل أن يكون الخطاب القرآني متجانساً و منسجماً ، خاصة إذا ما علمنا أنَّه استمر على مدى عشرين عاما

---

[1] . تاريخية الفكر العرب الإسلامي ، أركون : 98

[2] . ينظر الإسلام أوربا الغرب ، أركون : 193

[3] . ينظر الإتقان في علوم القران ،جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة 1974م : 3 / 120

))[1]. واركون في هذه الدعوى يشير إلى أساتذته المستشرقين وذلك بقوله : ((طالما عاب عليه الباحثون فوضاه))[2] .

و مقولته هذه طعناً بالقرآن الكريم ، فقد ذكر الله تعالى أنَّ القرآن الكريم مُحكم مترابط البناء ، أسلوبا و تركيبا ، معنى و لفظا ، لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، قال سبحانه : { كتاب أُحكمت آياته ثم فُصلت من لدن حكيم خبير } –سورة هود/1– ، وقال تعالى { كتاب فُصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون }–سورة فُصلت/3– ، و أنه كتاب {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} – سورة فصلت/42– .

وقوله بأنَّ الباحثين عابوا على القرآن فوضاه ، هو قول فيه تعميم غير صحيح ، لأنَّ الذين قالوا ذلك في القرآن هم أساتذته المستشرقين ومن سار في ركبهم من أهل البدع والضلال ، و إلا فإنَّ كثيرا من الباحثين –قديما و حديثا – بحثوا في تناسق القرآن و انسجامه ،و ترتيب سوره و آياته ،و أظهروا كثيرا من أسراره و إعجازه و تماسكه ، كالسيوطي في أسرار ترتيب القرآن ، و محمود الكرماني في أسرار التكرار في القرآن ، و سيد قطب في ظلال القرآن ، و فاضل السامرائي في لمساته البيانية ، و محمد الزفزاف في كتابه التعريف بالقرآن و الحديث . والبقاعي في نظم الدرر . فضلا أن في كلامه اتهاما للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بإساءة الترتيب للنص القرآني ونسبة الترتيب للنبي محمد (ρ)، وإلا فما معنى كلامه : ((قد يبدو من غير المعقول أو المحتمل أن يكون الخطاب القرآني متجانساً و منسجماً ، خاصة إذا ما علمنا أنه استمر على مدى عشرين عاماً))[3]. وترتيب السور القرآنية عند علماء الأمة هو توقيفياً من الله تعالى لا تدخل فيه للنبي محمد صلى الله عليه وسلم . أما المستشرق بروكلمان فينسب ترتيب السور إلى زيد بن ثابت كما في قوله : ((إنَّ زيداً رتَّب في هذا الجمع السور حسب طولها، وابتدأ بأطولها، بعد الفاتحة التي وضعها على رأس السور كلها، وعلى هذا المنوال جمع القرآن أيضا أبي بن كعب، والمقداد ابن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الأشعري ...)) [4]. وغيرها من الأمثلة التي تبين أن أركون ما هو إلا ناقلاً لأفكار ومغالطات أساتذته من المستشرقين ، الذي قالوا بترتيب السور من النبي(ρ) وصحبه في إشارة لتحريف القرآن وتكوين صياغاته .

---

1. القران من التفسير الموروث ، أركون : 114
2. الفكر الأصولي ، أركون : 86
3. القران من التفسير الموروث ، أركون : 114
4. تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان : 1 / 420

ومما يدلل على مغالطات أركون وجهله وعدم دقته ، ويتضح ذلك بقول أركون :إنَّ سورة التوبة المرتبة في القرآن برقم : 19 ، ادعى أنها تحتل في الواقع رقم : 115 حسب الترتيب التاريخي[1] . و هذه المقولة تُبين جهل أركون ، فالمعروف أن عدد سور القرآن 114 سورة ، و ليس 115 سورة ، ولا ندري هل تعمد أركون ذلك على عادته ، أم أخطأ فيه ؟ ، ولا يستبعد أن يكون أركون متعمدا في مغالطته لعدد السور ، فهو يتبع أساتذته المستشرقين في كل مغالطاتهم واتهاماتهم ، فلعل أركون له ترتيبا وسورا تزيد بالعدد المعروف لسور القران ، وهذا ليس ببعيد فالمتتبع لآراء أركون يجد أن مصادرها تترد بين أهل البدع والمستشرقين الذين نقلوا عن أهل البدع أن هناك سورا أخفيت من الصحابة رضي الله عنهم وغيرها من المزاعم .

الفصل الثالث : أركون وتفسير الآيات القرآنية

يتناول هذا الفصل منهجية أركون في تعامله مع الآيات القرآنية بمختلف موضوعاتها ، وخاصة في مجال القصص القرآني .

المبحث الأول : أركون والقصص القرآني والأساطير

يؤكد أركون في أكثر من موضع في كتاباته على البعد الأسطوري للقصص القرآني ، وأنَّ مصدر تلك القصص هو الأساطير والحكايات الخرافة ، كما في قوله : إنَّ في القرآن بعد أسطوري ، و رمزي لهما فيه أهمية كبرى حاسمة[2]. ويربط أركون بين الأسطورة وبين الرسالة الإلهية ، فيقول: ((إنَّ اشتداد الضمير غير المجزأ وجهد العقل الذي يرفده مقابلة الإيمان لإنفاذ الشروط النظرية لإحياء التعاليم الصحيحة للرسالة الإلهية والرجوع إليها، ويبقى أن هذا الجهد قد عمل على استمرار الرؤية الأسطورية، على حساب معرفة وضعية بالإنسان وبالتاريخ))[3].

بل إنَّ أركون يربط الدين على العموم بالأسطورة فيقول: ((فلا يمكن نقل كلام ذي بنية أسطورية إلى مجرد كلام دال، بدون افتقار قصي لجملة معقدة من المفاهيم، ومن الضروري المرور بالتحليل الأدبي، الذي يفترض هو ذاته دراسة علمية لدلالات كلام ديني))[4].

وفي سياق القصص القرآني يذكر أركون أن تأثير القصص القرآني على سامعيه تؤدي به إلى الخضوع تحت التأثير الأسطوري ، أو الوعي التاريخ ، فالقصص القرآني تعطي نتيجتين في هذا

---

[1] . ينظر الفكر الأصولي ، أركون : 147

[2] . ينظر الفكر الإسلامي ، أركون : 109

[3] . الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين محمد أركون وإدوارد سعيد، نعمان السامرائي: 96

[4] . الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين محمد أركون وإدوارد سعيد، نعمان السامرائي : 43

المجال : نتيجة أسطورية وأخرى تاريخية ، كما في قوله : ((إن تأثير هذه القصص على وعي سامعي القرآن مختلف بحسب طريقة التلقي؛ أي أنَّها إما تتلقى عن طريق الوعي الأسطوري الدوغمائي (الأصولي المنغلق)، أو عن طريق الوعي التاريخي))[1]. ويؤكد هذا الزعم الأسطوري في قوله : ((هناك مفهومات خمسة تتيح لنا أن نوضح كيف أنَّ هذه الآية تحيل إلى نوع من الاستخدام الأسطوري للتاريخ، واستخدام تاريخي للأسطورة))[2].

ويعيب أركون على المسلمين غيرتهم على كتاب الله تعالى كما في قوله : ((وعندما أقول : القرآن خطاب أسطوري البنية فان المسلم يولول ويثور وينادي بالثبور وعظائم الأمور في حين أني لم أقل شيئا خارقا للعادة أو يسبب أي مشكلة))[3].

و أمّا فيما يتعلق بالبعد الأسطوري المزعوم ، فهو ادعاء باطل من أساسه ، يرفضه القرآن الكريم رفضا مطلقا ، كان على أركون أن يذكر لنا أمثلة من هذا البعد الأسطوري المزعوم في القرآن ، مع العلم أنَّ الأسطورة في اللغة العربية تعني الحكايات الباطلة التي لا أصل لها ، وأركون في وصفه القرآن تصريحاً أو تعريضاً بالأسطورة أو الفكر الأسطوري، مردداً دعاوى كفار قريش في وصفهم للقرآن الكريم كما ورد في كتاب الله تعالى على لسانهم، قال تعالى: {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الفرقان: 5].

و مصطلح الأسطورة (Myth) وهي: " قصة خرافية يَسودها الخيال، تبرز قوى الطبيعة في صور كائنات حية ذات شخصية ممتازة وينبني عليها الأدب الشعبي ...تستخدم في عرض مذهب أو فكرة عرضاً شعرياً قصصياً مثل أسطورة الكهف عند أفلاطون " [4].

ودعوى ارتباط القرآن الكريم بالأسطورة مردود ، يرده القرآن الكريم جملة و تفصيلاً ، لأنَّ القصص التي فيه ، وصفها الله تعالى بأنها حق ، كقوله تعالى : ((نحن نقص عليك نبأهم بالحق))-سورة الكهف/13- ، و ((نحن نقص عليك أحسن القصص))-سورة يوسف/3 - ، و ((إن هذا لهو القصص الحق))- سورة آل عمران/62 - ، و ((تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك)) - سورة هود/49- ، و ((و الذي أُنزل إليك من ربك الحق))سورة الرعد/1- .

---

1. الفكر الإسلامي نقده واجتهاده ، اركون : 130
2. الفكر الإسلامي ونقده ، أركون : 130
3. الإسلام والحداثة ، أركون : 346 . 347
4. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، تصدير إبراهيم مدكور، المطابع الأميرية، القاهرة 1403 هـ ـ 1983م. : 13

أركون قد أخذ كلمة "الأساطير" من المشركين الذين استعملوها في تكذيب النبي (ρ) ، ثم أفرغها من محتواها اللغوي القديم وأعطاها معنى الخرافة، وهو المعنى الذي شاع لها الآن ولم نعد نفكر في غيره، فضلا عن أن نقصده. ثم لم يكتف اركون بهذا ، بل ادعى أنَّه لا يستعمل هذه الكلمة بالمعنى السيئ الذي استعملها به القرآن. كما أنه حرص على تغيير المصطلحات الإسلامية بمصطلحات أنثروبولوجية وألسنية كي يتسلل إلى عقول قرائه المسلمين المقصودين بكل هذه الافتراءات التي يرددها فلا يثيرهم شيء من انتقاده وتكذيبه للوحي. وقد تناول هاشم صالح[*] هذه النقطة، ولكنه في أحد تعليقاته اتصف الحيادية العلمية فقال : إن أركون يستخدم مصطلحات ألسنية محضة للتحدث عن القرآن، فهو يقول: "المنطوقة" أو "العبارة اللغوية" بدلا من "الآية القرآنية"، ويقول: "المدوَّنة النَّصِّيّة" بدلا من "القرآن"...

فضلاً عن ذلك أنَّه لو افترضنا تسرب بعض التفاصيل إلى معارف العرب البدائية من أساطير التورانجيل وغيرها ، هل كان يستطيع محمد المدوَّنة النَّصِّيّة (ρ) أن يثق بكل بساطة في علم الجماهير، وهو الذي كان يقف مِمّا يرويهِ موقف التحدي؟ ونظراً لأنَّ الأفكار التي كانت رائجة في هذا المجتمع الديني الكبير لم يكن لها اتجاه واحد، بل كان لكل من المشركين والصابئين ورجال الدين والفرس واليهود والنصارى أسلوبهم الخاص في عرض الحقيقة، ففي أي فريق من هؤلاء كان الرسول (ρ) يستطيع أن يضع ثقته؟ وعلى أي دعوة من هذه المتناقضات يعتمد؟ وَهب أنَّه (ρ) حَرِصَ على أن يَقصَّ علينا عقيدة كل طائفة، وكل مذهب ، من تلك المذاهب المعاصرة، فأي خليط مخيف كنا سنجده في القرآن الكريم[1] .

المبحث الثاني : القصص القرآني والتورانجيل عند أركون

ينظر أركون للقصص القرآني وعلاقتها بالقصص التورانجيلي من منظور استشراقي ، فهو في هذه العلاقة يتبع أسياده المستشرقين في دعوى اقتباس النبي محمد (ρ) القصص القرآني من التورانجيل ، فيدعي أركون إنَّ القصص القرآني لا تعدو أن تكون أكثر من نسخة معدلة عن القصص التورانجيلي ، و يدعى : بأنَّه توجد مؤثرات خارجية في القصص القرآني ، أتته من مصدر

---

[*] . هاشم صالح : باحث سوري مقيم في باريس ، نقل العديد من كتب أركون الى العربية ، بل وعلق عليها وصدَّر لها .

[1] . ينظر مقال : المهزلة الاركونية ، د . إبراهيم عوض ، ينظر الرابط :
http://alarabnews.com/alshaab/2005/30-09-2005/awad.htm

موثوق و صحيح هو التوراة ، و بالتالي إدانة الأخطاء و التشويهات ، والإلغاءات و الإضافات، التي يُمكن أن توجد في النسخة القرآنية بالقياس إلى النسخة التوراتية[1] .

ومقولة أركون مقتبسة من المستشرقين ، فقد سبقوا أركون بها ، ومن الأمثلة على هذه الدعوى ، ما قاله جولدتسهر (Goldziher) عن موضوع القصة القرآنية في قوله : ((لقد أفاد من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء، ليُذكِّر على سبيل الإنذار والتمثيل، بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم ووقفوا في طريقهم، وبهذا انضم محمد إلى سلسلة أولئك الأنبياء القدماء بوصفه آخرهم عهدا وخاتمهم))[2]، في حين قال مونتجمري وات Montogmery Watt : ((لقد زاد إنتشار الحكايات التوراتية في مكة والمدينة زمن محمد، ومن الطبيعي أنّ نتوقع أنّ زيادة المعرفة بها لابد أن ينعكس في القرآن الكريم، ولا شك أن القرآن الكريم كان يضع في اعتباره طبيعة النّاس الذين يتوجه إليهم القرآن بالحديث، أولئك النّاس الذين لم تصل إليهم المعرفة إلا شفاهة ...)) [3].

ويقول رودي باريت: ((وإذا فكرنا في العناصر الأخرى التي يُمكن أن يكون النبي محمد قد استمدّها من الموروث المسيحي واليهودي، واعتبارها جزءاً من دعوته؛ فيمكنُ القولُ إنَّ القصص البيبلي كان أحد تلك العناصر، والذي يظهر في أشكالٍ معدلةٍ في سور قرآنيةٍ كثيرة)) [4]

ودعوى الاقتابس لا تستند لأي مستند حقيقي صريح ، وهذه الدعوة تدور حول ما وجد من توافق جزئي بين قصص التورانجيل وبين قصص القرآن الكريم ، فالتوافق بين القرآن الكريم وبين التورانجيل وخاصة في قصص الأنبياء السابقين هو توافق في أصل الحدث والقصة، أما في التفاصيل فالفروق كبيرة وظاهرة لا يَقدر ذو قلب أن يُغمض الفكر عنها، وهنا يتجلى امتياز القرآن وتفوقه على هذه الكتب [5]، لذلك يمكن القول: إنَّ علاقة القرآن بالتورانجيل علاقةُ تصديق بصورة عامة في مجال القصص، فقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا

---

1 . ينظر الفكر الإسلامي ، اركون : 143

2 . العقيدة والشريعة في الإسلام، اجناس جولد تسيهر، ترجمة: د. محمد يوسف موسى، د. علي حسن عبد القادر، و عبد العزيز عبد الحق، دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة الثالثة، (ب ـ ت) : 15

3 . الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م : 94 ـ 95

4 . محمد والقران ، وردي باريت ، ترجمة رضوان السيد ، الدار العربية ناشرون بيروت ، ط1 ، 2009 م : 67

5 . ينظر الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم، د. أحمد محمد فاضل، مركز الناقد دمشق، الطبعة الأولى 2008م : 390

إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} سورة يونس : 49 .

وهنا يجب أن نقرر إنَّ كون القرآن الكريم مُهيمناً على الكتب السابقة بما فيها التوراة والإنجيل، يعني أنّه يُرجع كثيراً من الحقائق التاريخية إلى نصابها بعد أن تعرضت للتحريف والزيادة والنقصان، ويكشف عن الصواب في كل صغيرة وكبيرة من الوقائع التي قصها بصدق وحق ودقةٍ متناهية لأنَّه كلام الله المحيط علما بالماضي والحاضر والمستقبل {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} سورة المائدة 48 . [1]

فضلا أن أركون يساوي بين الخطاب القرآني والتوراة، ويصفه بالخطاب الأسطوري – كما يزعم – فيقول: « إنَّ الحكايات التوراتية والخطاب القرآني هما نموذجان رائعان من نماذج التعبير الأسطوري »[2]. ففي مساواته بين القصص القرآني وقصص التورانجيل كما في تعبيره عنها بالحكاية ، وان كلاهما مستقيان مصادرهما من ذات المنبع الأسطوري كما يزعم .

المبحث الثالث : أركون وقصة أصحاب الكهف

يتناول أركون قصة أصحاب الكهف من المنظور الاستشراقي ، فهو لم يذهب بعيداً عن الموقف الاستشراقي من القصص القرآني في زعمهم نقلها عن التوراة والإنجيل، فهو يردد مزاعم من سبقه من المستشرقين، فيقول في سياق حديثه عن قصة أصحاب الكهف : ((ننتقل الآن إلى النقطة الثالثة من موضوعنا: وهي التداخلية النصانية بين القرآن والنصوص الأخرى التي سبقته، وهنا نريد أن نقوم بقراءة تاريخية أفقية للخطاب القرآني، وذلك ضمن منظور المدة الطويلة جداً، بحسب تعبير المصطلح الشهير للمؤرخ الفرنسي فيرنان بروديل، وهذه المدة الطويلة جداً سوف تشمل ليس فقط التوراة والإنجيل، وهما المجموعتان النصيتان الكبيرتان اللتان تتمتعان بحضور كثيف في القرآن، أو في الخطاب القرآني، وإنما ينبغي أن تشمل كذلك الذاكرات الجماعية الدينية الثقافية للشرق الأوسط القديم، وبهذا الصدد يمكن القول إن سورة الكهف تشكل مثلاً ساطعاً على ظاهرة التداخلية النصانية الواسعة الموجودة أو الشغالة في الخطاب القرآني، فهناك ثلاث قصص هي: أهل الكهف، وأسطورة

---

1 . الشبة الاستشراقية ، عبد السلام بكاري الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن للدكتور محمد عابد الجابري، عبد السلام بكاري، الصديق بوعلام، الدار العربية للعلوم بيروت، الطبعة الأولى 1340هـ 2009م : 265

2 . تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، أركون : 210

غلغاميش [يقصد به: الخضر] ورواية الإسكندر الأكبر [ويقصد: به ذي القرنين] وجميعها تحيلنا إلى المخيال الثقافي المشترك والأقدم لمنطقة الشرق الأوسط القديم))[1].

ويصرح أركون بدعوى أسطورية قصة أصحاب الكهف بقوله : ((تفسير سورة الكهف حيث ينتهي إلى القول بأن قصة الفتية الذين آووا إلى الكهف هي من قبيل القصص الأسطورية، أي القصص التي تعتني بعبقرية التشكيل والتركيب والإبداع، والمقدرة على الإحياء وتقديم العبرة للناس، أكثر من اهتمامها بمطابقة الواقع والتاريخ))[2].

فمقولته تحتوي على مغالطات علمية فاضحة ، فاركون ينسب مصدرية قصة أصحاب الكهف إلى البيئة الشرقية من دون أن يسند دعواه بمستند تاريخي ، فضلا أنَّ قوله عن القصص التي تحتوى عليها سورة "الكهف" من إنَّها "مغروسة عميقا في الذاكرة الجماعية العتيقة للشرق الأوسط" ، فهو بمقولته يقرر ، أنَّ القرآن ليس إلا النتاج المخيالي للبيئة التي ظهر فيها ...، وهو عندما يدَّعِى أنَّ محمدا(ρ) قد استمد هذه القصص الثلاث من تراث البيئة التي ينتمي إليها، إنما يردد هنا أيضا ما يقوله المستشرقون، الذي لا يكفّ أبدا عن التنفج بأن منهجه يتجاوز مناهجهم ويصل إلى نتائج لا يستطيعون أن يتوصلوا إليها بهذه المناهج. فهذا هو كاتب مادة "Ashab al-Kahf: أصحاب الكهف"، فى الطبعة الثانية من "Encyclopaedia of Islam"، يقول إن "محمدا قد ألمَّ بهذه الحكاية وكثير غيرها من الحكايات ذات الأصول اليهودية والنصرانية، ثم تمثَّلها واتخذ منها في القرآن أداة للتربية الأخلاقية".[3]

فضلا أنَّ المستشرقين طرحوا هكذا شبهات حول قصة أصحاب الكهف ، ومن هؤلاء المستشرق تسدال ولويس ماسنيون ، فقالوا : هي قصة اقتبسها القرآن من الأدب المسيحي (وليس في التورانجيل). وهي تحكي عن فتية آمنوا بالله وجاهدوا في سبيله وفضلوا العزلة على ارتكاب الخطيئة. ومختصر القصة أن فتية في زمن سابق قد وحّدوا الله وآمنوا به مخالفين قومهم ولما شعروا بالخطر لجؤوا إلى كهف وباتوا فيه مع كلب لهم. وأراد الله أن يجعلهم آية من آياته، فناموا في كهفهم مدة ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم فأفاقوا من سباتهم واتصلوا بالناس، لكن الزمن قد تغير وإن العملة التي استعملوها كانت قد تغيرت أيضاً فاكتشف الناس الآية وتيقنوا قدرة الله [4]. .. وهكذا سار

---

1 . تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، أركون : 220 ـ 221

2 . النص الديني والتراث الإسلامي ، احميدة النيفرة : 171

3 . مقال : المهزلة الاركونية ، د إبراهيم عوض .

4 . ينظر مقال بعنوان : لويس ماسنيوس من موقع : وكيبيديا الموسوعة الحرة

أركون على خطى أساتذته المستشرقين في إطلاق الاتهامات والافتراضات حول القرآن الكريم وقصصه من دون أن يقدموا دليلاً معتبراً على صدق دعواهم .

(((الخاتمة)))

الحمدُ لله على مَا أعانني به لإنجازِ هذا البحث ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

بَعدَ هذه الجولة في كتابات محمد أركون حول القرآن الكريم ، ومناقشةِ أبرز أفكارهِ المتعلقة بالقرآن الكريم ، انتهيت إلى النتائج الآتية :

1 . تأثر أركون بالبيئة التي نشأ منها وتلقى فيها تعليمه وثقافته ، ويظهر هذا التأثر في كتاباته التي سارت على منوال المستشرقين ومن على نهجهم .

2 . سعى أركون في كتاباته لتقرير منهجه الحداثي وإسقاطه على النصوص الدينية على العموم ، والنصوص القرآنية على وجه الخصوص .

3 . صَدَّر أركون في كتاباته للفكر الاستشراقي ومنهجه في التعامل مع النصوص الإسلامية ، مستعملا لذلك مناهجاً ووسائلاً شتى .

4 . يظهر تأثر أركون بالتفسيرات الباطنية المنحرفة ، من الصوفية وغيرهم من أهل البدع والضلال، وخاصة في مجال التفسير القرآني .

5 . يسعى أركون لنزع القدسية عن القرآن الكريم ، متوسلا لذلك بمناهج أساتذته المستشرقين ، ولا سيما منهج النقد التاريخي ، وتطبيقه على تاريخ القرآن الكريم ومصدره.

6 . يُسقط أركون نظريته الحداثية على الوحي القرآني الأول ، ويَعدُ تلك الحادثة لحظة حداثية غيرت من الأنظمة المعرفية والقانونية والعقائدية للمجتمع الجاهلي وقتئذ .

7 . يسلب أركون من القرآن الكريم كل مميزاته وخصائصه التي تميز بها عن التورانجيل ، ولا يثبت لتلك المميزات إلا احتفاظ القرآن الكريم بلغته العربية كما يزعم .

8 . يدعي أركون أنَّ القرآن الكريم في ترتيب سوره غير متجانساً ولا منسجماً ، وهو في ذلك يوافق أساتذته المستشرقين .

9 . يذهب أركون في تقديم القرآن الكريم على أنه رؤية أسطورية ، بل ويتعدى في دعواه إلى نسبة كل الأديان بالأسطورة ، ولا يفرق في مقولته بين الإسلام وبين بقية الأديان .

10 . يعيب أركون ويستنكر دفاع المسلمين وغيرتهم على القرآن الكريم ، فاركون لا يكتفي بالطعن بالقرآن الكريم بل يريد أن يتقبل المسلمون لافتراءاته من دون أن يكون لهم أي موقف لنصرت عقائدهم ودينهم .

11 . يردد أركون مزاعم المستشرقين في أن القرآن الكريم ما هو إلا نسخة معدلة من التورانجيل . بل ويساوي بينهما في مجال التعبير الأسطوري كما يزعم أركون .

12 . يصرح أركون بدعوى أسطورية قصة أصحاب الكهف الواردة في القرآن الكريم ، من دون يقدم دليلا مقبولا ، ويكتفي فقط بنفي ارتباطها بالوحي الإلهي ، ويقرر انتسابها للمجال الأسطوري المزعوم .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1) الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم، د. أحمد محمد فاضل، مركز الناقد دمشق، الطبعة الأولى 2008م.
2) الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة 1974م.
3) آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى الجامعة العراقية عام 2012م، د. أمجد يونس عبد مرزوك.
4) آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، د. محمد خليفة حسن، دار روتابرينت مصر، الطبعة الأولى 1997م.
5) الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم ،إعداد د. محمد بن سعيد السرحاني ، بحث مقدم إلى ندوة القران الكريم في الدراسات الاستشراقية.
6) الإسلام أوربا الغرب رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ، أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ، ط 2 ، 2001م .
7) الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مونتجمري وات، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998م.
8) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبد الحليم النجار، الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، القاهرة 1968.
9) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، محمد أركون ن ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي بيروت ، ط2 ، 1996 م .
10) حوار البدايات مع محمد أركون، وهو حوار أجراه معه محمد رفرافي، منشور في مجلة (الفكر العربي المعاصر) في عددها الصادر في سبتمبر (أيلول) 1989م.
11) الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن للدكتور محمد عابد الجابري، عبد السلام بكاري، الصديق بوعلام، الدار العربية للعلوم بيروت، الطبعة الأولى 1340هـ 2009م .
12) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة الجعفي البخاري، دار صادر بيروت (ب ـ ت).
13) الفكر الإسلامي قراءة علمية ، أركون ، ترجمة هاشم صالح ، مركز الإنماء القومي بيروت ، ط2، 1996م.

14)الفكر الإسلامي نقده واجتهاده ، أركون، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

15)الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ، ط 1 ، 1999م .

16)الفكر العربي ، أركون ، ترجمة عادل العوّا ، منشورات عويدات ، ط3 ، 1985 م

17)الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين محمد أركون وإدوارد سعيد.د . نعمان عبدالرزاق السامرائي .

18)القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني ، محمد أركون ، ترجمة وتعليق هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت ، ط2 ، 2005م .

19)قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الإسلام اليوم ، أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت .

20) قضايا في نقد العقل الديني كيف نفهم الاسلام اليوم ، محمد اركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الطليعة بيروت

21)محمد والقرآن ، وردي باريت ، ترجمة رضوان السيد ، الدار العربية ناشرون بيروت ، ط1 ، 2009 م .

22)المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، تصدير إبراهيم مدكور، المطابع الأميرية، القاهرة 1403 هـ - 1983م.

23)معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب تونس 2004م.

24)من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ، محمد أركون، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت ، ط1 ، 1991م.

25)من فيصل التفرقة إلى فصل المقال ، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر : محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، دار الساقي بيروت لبنان ، الطبعة الثانية 1995م .

26)الموسوعة العربية ، هيئة الموسوعة العربية في الجمهورية العربية السورية ، ط1، سوريا ، 2003م

27)موقع الالوكة الالكتروني .

28)موقع الموسوعة الحرة وكيبيديا .

29)النقد الأدبي أصوله ومنهجه، سيد قطب، دار الشروق القاهرة، الطبعة الشرعية الثامنة 1424هـ - 2003م.

30)نقد الخطاب الاستشراقي، ساسي سالم الحاج، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى 2002م.